صورة الزوج الجزائري في رواية رميم لفضيلة ملهاق

The Image of the Algerian Husband in the Novel Remeem by Fadila Melhaq

محمود إسلام

باحث بمرحلة الدكتوراه جامعة العلاّمة إقبال المفتوحة، إسلام آباد

Email: mehmoodislam@gmail.com

المشرف: الأستاذ الدكتور عبد المجيد البغدادي

الجامعة العلاّمة إقبال المفتوحة، إسلام آباد

Email: baghdadidgk@gmail.com

Abstract

This article examines the image of the Algerian husband in Dr. Fadila Malhaq's novel *Rameem*, taking the character of **Suleiman** as a representative model. Adopting a descriptive-analytical approach, the study explores the artistic and psychological construction of the husband's character through an analysis of the novel's narrative events, dialogues, and character interactions.

The study reveals that the novelist presents Suleiman as a dynamic and multidimensional character whose personality undergoes significant transformation in response to changing life circumstances, particularly his wife's illness. At the beginning of the novel, he is portrayed as a loving, loyal, compassionate, and responsible husband who is deeply devoted to his wife and committed to his family. However, as the narrative progresses, prolonged psychological and social pressures gradually reshape his personality, revealing traits of emotional conflict, authority, self-interest, and the tendency to justify his decisions through religious and social discourse, particularly regarding his second marriage. Rather than presenting an idealized or entirely negative image of the Algerian husband, the novel offers a realistic and psychologically complex portrayal that reflects the tensions between love and duty, loyalty and personal desire, responsibility and authority.

The study concludes that the image of the husband in *Rameem* is constructed as a dynamic literary representation of the human condition, emphasizing the complexity of marital relationships when confronted with illness, suffering, and social expectations. Through Suleiman's character, Dr. Fadila Malhaq succeeds in presenting a nuanced vision of the Algerian

husband that enriches the novel's psychological depth and social significance.

Keywords: Algerian husband, *Rameem*, Dr. Fadila Malhaq, Suleiman, image of the husband, characterization, Algerian novel, descriptive-analytical approach

الملخص

يهدف هذا المقال إلى دراسة صورة الزوج الجزائري في رواية "رميم" للدكتورة فضيلة ملهاق، متخذا من شخصية سليمان نموذجا للدراسة. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن البناء الفني والنفسي لشخصية الزوج من خلال تحليل الأحداث الروائية، والحوارات، والعلاقات بين الشخصيات. وقد أظهرت الدراسة أن الروائية قدمت سليمان بوصفه شخصية نامية ومتعددة الأبعاد، تخضع لتحولات عميقة بفعل تغير الظروف الحياتية، ولا سيما مرض زوجته.

ففي بداية الرواية، يظهر سليمان زوجا محبا، وفيا، حنونا، ومسؤولا، يحرص على رعاية زوجته واستقرار أسرته. غير أن تصاعد الضغوط النفسية والاجتماعية يؤدي تدريجيا إلى تحول شخصيته، فتبرز فيها ملامح الصراع الداخلي، والنزعة السلطوية، وتغليب المصلحة الشخصية، مع الاستناد إلى المبررات الدينية والاجتماعية لتسويغ قراره بالزواج الثاني.

وتبين الدراسة أن الرواية لا تقدم صورة مثالية أو سلبية مطلقة للزوج الجزائري، وإنما ترسم شخصية إنسانية مركبة تعكس التوتر بين الحب والواجب، والوفاء والرغبة، والمسؤولية والسلطة. وتخلص الدراسة إلى أن صورة الزوج في رواية رميم تمثل بناء فنيا ديناميا يجسد تعقيدات العلاقة الزوجية في ظل المرض والمعاناة والضغوط الاجتماعية، وأن الدكتورة فضيلة ملهاق نجحت في تقديم رؤية واقعية وناضجة للزوج الجزائري، مما أضفى على الرواية عمقا نفسيا واجتماعيا مميزا.

الكلمات المفتاحية: صورة الزوج، الزوج الجزائري، رواية رميم، فضيلة ملهاق، سليمان، بناء الشخصية، الرواية الجزائرية، المنهج الوصفي التحليلي.

التعرف بالكاتبة

الدكتورة فضيلة ملهاق كاتبة وشاعرة جزائرية معاصرة. باحثة ومتخصصة متمرسة في القانون وحقوق الإنسان، وهي أيضا عضوة في المؤسسة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات. تحمل شهادة بكالوريوس في الرياضيات، وشهادة بكالوريوس في العلوم الطبيعية والبيولوجية، بالإضافة إلى

شهادات عليا، وأتمت العديد من البرامج التدريبية في الجزائر وخارجها، لا سيما في القانون والدبلوماسية واللغات الأجنبية.([1])([2])

بدأت الكتابة في سن مبكرة، حيث نظمت الشعر وقرأت أعمالًا لكتاب عرب وعالميين مرموقين. بعد إتمام المرحلة الابتدائية، كتبت قصصًا قصيرة وروايات ومسرحيات ضمن المنهج الدراسي. ثم اتجهت لاحقًا إلى الكتابة القانونية والأدبية.

صدر لها عدة مؤلفات أدبية وقانونية. من مؤلفاتها العلميَّة: حماية حقوق الإنسان أثناء النزاعات المسلحة – واقع ورهانات، وقاية النظام البنكي الجزائري من تبييض الأموال، القرصنة المعلوماتيَّة، التَّفاوض وإدارة الأزمات الدولية، وعدة دراسات قانونية وأبحاث منشورة في مجلات متخصصة.

تحتوي أعمالها الأدبية روايات: " لعنة اليربوع"، "ذاكرة هجرتها الألوان"، "حينما تشتهيك الحياة"، "رميم". من المجموعات القصصية: "خارج مجال التعرية"، "الطباشير"، "للعرض...غير قابلة للرَّسم".[3]

من دواوين الشعر: "مارد من عصر الحجر"، "قهوة باردة"، " الفيفا تستحم في الجزيرة"، "سبورة أفلاطون"، "امقورش في الجامعة"، " رائحة البرميل"، "المذبوحة والمسلوخة...والمقطعة"، "حُزنك أكبر منك ومنِّي".[4]

من مؤلفاتها في المجال العلمي:

أ- حماية الملكية الفكرية من القرصنة على الإنترنت (باللغة الفرنسية)

ب- دور التفاوض في إدارة الأزمات الدولية

ت- وقاية النظام البنكي الجزائري من تبييض الأموال (دراسة في ضوء القوانين والأنظمة سارية المفعول)

ث- مقالات قانونية منشورة في مجلات متخصصة.[5]

في روايتها "رميم"، تنسج الكاتبة قصتين متوازيتين، تجمع بين سرد وصفي ثري وحبكة أسطورية تتأملها الراوية، وتشير إليها الكاتبة باستمرار. في الوقت نفسه، تحتل ملهاق موقعا محوريا بين هاتين القصتين، تراقب الأحداث، وترويها، وتتفاعل معها، وتتصرف في تفاصيلها. وكعادتها، صاغت شخصيات الرواية بدقة متناهية، بدءا من اختيار الأسماء وصولا إلى تطورها الدرامي. لدينا قصة الأم، عتيقة، زوجة سليمان، التي بدأت حياتها معه من الصفر، وساندته حتى أصبح ثريا. هي امرأة ناضجة، تعاني من إعاقة جسدية تلزمها الفراش والكرسي المتحرك. يتجاهلها زوجها، وتشعر بالغربة عن أقرب الناس إليها: زوجها وأبناؤها وبناتها. كما أن العلاقة بين سليمان وزوجته الثانية، زينب الأصغر سنا والأكثر جمالا، معقدة أيضا. تستعيد عتيقة قدرتها على المشي بعد خضوعها لعمليات جراحية في الخارج،

بينما يعاني زوجها من الخرف ومرض الزهايمر. تبدأ البطلة، وهي أم، صراعا متبادلا في معركة من أجل حياتها ووجودها، تكشف فيه عن جوهر المرأة الجزائرية الثمين خارج نطاق حماية منزلها ومملكتها.[6]

يكشف تحليل سمات شخصية سليمان في رواية "رميم" أن الدكتورة فضيلة ملهاق لم تُصوّر الزوج الجزائري كشخصية جامدة، بل بنت صورته ضمن بنية سردية متدرجة تتداخل فيها الجوانب النفسية والاجتماعية والإنسانية. تغيّر صورة الزوج في الرواية تبعا للمواقف والأحداث المختلفة.

ففي بعض الأحيان، صُوّر كزوج مُحبّ ومخلص، وفي أحيان أخرى كرجل عطوف وداعم لزوجته في محنتها. كما صُوّر أيضا كرأس الأسرة، يتحمل مسؤولياتها. ثم، مع تصاعد الأزمة، برزت جوانب أخرى من شخصيته، مُسلطة الضوء على صراعه الداخلي، ونزعاته السلطوية، وأولويته للمكاسب الشخصية، واعتماده على المبررات الدينية، والاجتماعية في اتخاذ القرارات.

لم يكن هذه الصور متعدد الأوجه عشوائيا، بل كان متوافقا مع الأحداث المتسارعة، وساهم في بناء شخصية معقدة ومتطورة، تتفاعل مع تقلبات الحياة. لذلك، تتطلب دراسة صورة الزوج في هذه الرواية تحليلا من خلال سلسلة من الصور المتتالية التي تكشف عن تطور الشخصية وتحولها، بالإضافة إلى تسليط الضوء على الرؤية الفنية التي أراد الكاتب تقديمها للزوج الجزائري في سياق اجتماعي نفسي معقد.

أولاً: صورة الزوج المحب الوفي

تُقدّم رواية "رميم" سليمان في البداية كزوجٍ مُحبٍّ ومخلص، بُنيت شخصيته على المودة والرحمة والترابط العاطفي العميق مع زوجته عتيقة. لم يقتصر هذا الحب على الكلمات، بل تجسّد في مواقفه العملية، وفي القلق والإحباط اللذين انتاباه عندما أُدخلت زوجته إلى المستشفى إثر حادث.

وبينما كانت تتأرجح بين الحياة والموت، بدا سليمان وكأنه فقد رباطة جأشه المعهودة، حتى أن أطفاله رأوه كرجلٍ لم يعرفوا نقاط ضعفه من قبل، كما تصفه الراوية وهو يسير في ممر المستشفى: "كان يُقدّم خطوة ويؤخر أخرى بسحنة كالحة، ونظراته تائهة خالصة للحزن عليها. يتكئ تارة على الجدار بوهن، وتارة يروح ويجيء في الرواق مترنّحا كأنه يحوم حول النار ينبعث من جوفه أنين خافت.".[7] ثم أمر أطفاله بالعودة إلى منازلهم، وهو موقفٌ يكشف عن مدى ألمه وعجزه أمام مرض شريكة حياته. تتجلى صورة الوفاء بوضوح بعد خروج عتيقة من المستشفى، حين يجلس سليمان عند قدميها طوال الليل يواسيها، ويحدثها عن الصبر والقدر، ويعدها بأن يبقى حاميها الأمين حتى تدخل في سبات عميق، وهو مستيقظ بجانبها. ففي الرواية: " أمضى ليلته جالسًا عند قدميها يسرد عليها حكايات عن القدر والصبر، ويُطلق الوعود والعهود بأن يظل حارسها الوفي. ظلت صامتة".[8]

لا يقتصر وفاءه على الرعاية فحسب، بل يتجاوزها إلى تعبير جلي عن استعداده للتضحية بنفسه من أجلها حين يقول لها: "ما يهمني هو أنكِ ما زلتِ بجانبي. لو كان الأمر بيدي، لأعطيتكِ ساقي."[9]

ويؤكد لها أيضًا أن فقدانها أشدّ عليه من أي ألم آخر، وعندما تسأله عن قدرته على الصبر، يجيبها: " لا أملك ما يكفي من الصبر لأحتمل فراقك".[10] ثم يبلغ هذا الحب ذروته حين يصف نفسه بأنه رجل محظوظ لأنه فاز بها زوجة له، ويشبهها بنور لا يحتاج إلى تفسير أو وصف، قائلاً: "من يظفر بـ(لالات النساء فهو رجل سعيد. السعادة لا تحتاج إلى تفاصيل، ولا إلى شرح من يظفر بنور نجمة عالية، لا تعنيه تفاصيل الشكل واللون والحجم النور هو النور."[11]

تُظهر هذه المشاهد أن الكاتبة، في بداية الرواية، رسمت صورةً للزوج الجزائري المخلص الذي ينظر إلى زوجته كشريكة حياته، ويستمد استقراره النفسي من وجودها. في بناء هذه الصورة، اعتمدت على الحوار العاطفي، والعلاقات الإنسانية، والوصف النفسي الدقيق، مما يجعل القارئ يستشعر صدق مشاعر سليمان حتى قبل أن يُفصح عنها. علاوة على ذلك، فإن تشبيه زوجته بالنور يُضفي على العلاقة الزوجية بُعدا رمزيا؛ إذ تصبح الزوجة مصدرا للسكينة والتوجيه، لا مجرد شريكة حياة.

أما من الناحية الفنية، فلم تقدّم الكاتبة هذه الصورة كصورة ثابتة، بل جعلها تمهيدا للتحول الدرامي اللاحق. فكلما كانت صورة سليمان في بداية الرواية أكثر دقة، كلما كان التحول الذي طرأ على شخصيته بعد مرض زوجته أكثر إيلاما وإثارة للتساؤل، مما يُضفي على الشخصية عمقا نفسيا، ويُكسر النمطية السائدة في بنية الرواية.

ثانياً: صورة الزوج الحنون والداعم لزوجته في المرض

تُعدّ صورة الزوج المحبّ من أكثر الصور وضوحا التي رسمتها الدكتورة فضيلة ملهاق لشخصية سليمان في الجزء الأول من الرواية. فقد تحوّل من زوجٍ يُشارك زوجته تفاصيل حياتها اليومية إلى رفيقها الدائم بعد إصابتها. سعى جاهدا لتخفيف آثار إعاقتها الجسدية وبث الأمل في قلبها بعد أن فقدت القدرة على المشي.

عندما عادت عتيقة إلى المنزل مُحطّمة بعد أن علمت أنها لم تعد قادرة على المشي، كان سليمان أول من حاول مواساتها. جلس عند قدميها طوال الليل، يُحدّثها عن القدر والصبر، واعدا إياها بأن يبقى حاميها الأمين حتى تغفو، بينما بقي هو بجانبها.

بلغت هذه الرقة ذروتها عندما استيقظت عتيقة، واكتشفت أنه ما زال موجودًا. خاطبها بكلماتٍ كشفت عن عمق علاقته بها، قائلا: "ما يعنيني هو أنك لا تزالين جانبي، لو كان الأمر بيدي لكنت أعطيتك ساقي، يا ليتني كنت بدلا منك".[12]

وتتجلى قوة الرابطة العاطفية بين الزوجين أيضا في الحوار اللاحق؛ فعندما تسأله عتيقة عن قدرته على التأقلم مع وضعها الجديد، يجيبها دون تردد: "لا أملك ما يكفي من الصبر لأحتمل فراقك، هذا ما أعرفه".[13]

لا يكتفي سليمان بمواساتها، بل يسعى أيضا إلى استعادة ثقتها بنفسها. فهو يرفض النظر إليها كامرأة فقدت قيمتها بسبب إعاقتها، ويصرّ على أنها لا تزال المرأة التي اختارها، قائلا: "من يظفر بـ(لالات النساء فهو رجل سعيد. السعادة لا تحتاج إلى تفاصيل... النور هو النور".[14]

تعكس هذه المشاهد نموذج الزوج الذي يُظهر حنانه يوميا، لا مجرد عاطفة عابرة. تصوّر الكاتبة سليمان كرجلٍ يُشارك زوجته ألمها النفسي حتى قبل معاناتها الجسدية، مانحا إياها الطمأنينة بأنها لم تفقد مكانتها في قلبه رغم كل ما مرت به. من الناحية الأدبية، تستخدم الروائية الحوارات الداخلية والخارجية، فضلا عن الأوصاف النفسية الدقيقة، ليؤكد عمق علاقة الزوجين. كلمات سليمان مليئة بالصدق والعفوية، خالية من التكلّف.

يشير هذا التصوير أيضا إلى أن المرض لم يكن السبب المباشر لانهيار الزواج، بل كان فرصة لأسمى تعابير الرحمة والإخلاص. هذا يدفع القارئ إلى التعاطف مع سليمان وتصديق صدق مشاعره في هذه المرحلة من الرواية.

مع ذلك، لا تقدّم الكاتبة هذه المرحلة كنهاية لرحلة الشخصية، بل كمقدمة للتحول الدرامي الذي يليها. يتغير هذا الزوج المحب والحنون تدريجيا مع استمرار مرضه في استنزافه، مما يخلق تباينا فنيا مؤثرا بين سليمان قبل معاناته الطويلة وبعدها، ويُضفي على شخصيته بُعدا نفسيا أكثر تعقيدا. عموما، تُصوّر الرواية سليمان في هذه المرحلة كزوج محب وحنون. تتجلى حنانه في وجوده الدائم بجانب زوجته، وفي مواساتها، وفي تخفيف آلامها النفسية، وفي رغبته الدائمة في بث الأمل فيها، مؤكدا لها أن قيمتها الإنسانية والزوجية لم تتغير رغم إعاقتها. تُعد هذه الصورة إحدى أهم الركائز التي يبني عليها الروائي المفارقة الدرامية اللاحقة في تطور شخصية سليمان.

ثالثًا: صورة الزوج المسؤول وربِّ الأسرة

صوّرت الدكتورة فضيلة ملهاق سليمان كرب الأسرة، كلمته مسموعة في المنزل، وهي صورة تتكرر في الرواية. يصور سليمان مسؤولا عن أسرته، يتحمل أعباءها، ويسعى لإدارة شؤونها واتخاذ القرارات المهمة. تستند هذه الصورة إلى مكانته في الأسرة والسلطة الممنوحة له بحكم دوره الأبوي والزوجي. تتضح هذه الصورة منذ المشاهد الأولى في المستشفى. عندما اشتد قلق الأطفال على والدتهم،

حسم سليمان الموقف بقوله: "اذهبن إلى بيوتكن".[15] وتعلّق الراوية على ذلك بقولها: "لم تكن كلمة سليمان قابلة للنقاش".[16]

يكشف هذا التصريح عن شخصية الأب كسلطة أخلاقية في الأسرة، تُطاع أوامره دون نقاش. ويعكس هذا احترام الأبناء لمنصبه كرأس الأسرة وصاحب القرار. علاوة على ذلك، يبدو أن سليمان مسؤول عن استقرار الأسرة وعن سلامة زوجته بعد خروجها من المستشفى؛ إذ يوصي الأبناء بإراحتها قائلا: "دعوا والدتكم ترتاح".

ولا يقتصر إحساسه بالمسؤولية على الجانب النفسي، بل يمتد إلى الجانب المادي أيضا؛ كما تذكر له عتيقة سنوات الغربة الطويلة التي قضاها في العمل من أجل تأمين مستقبل عائلته، فيرد عليها: "كنت أتعب وأشقى لأؤمن مستقبلكم".[17] يعكس هذا التصريح نظرة سليمان لدوره في الأسرة؛ فهو يعتبر مسؤوليته الأساسية هي تأمين الأمن الاقتصادي لأفراد أسرته، حتى لو تطلب ذلك غيابات طويلة. في هذه المرحلة، تُصوّر الرواية سليمان كزوج جزائري مثالي يجمع بين السلطة والمسؤولية. فهو ليس مجرد زوج، بل رب الأسرة، وصاحب القرار، والمسؤول عن ضمان مستقبل أبنائه. وقد نجح الروائي في رسم هذه الصورة من خلال المواقف اليومية والحوار، دون اللجوء إلى الوصف المباشر، مما جعل شخصية سليمان أكثر واقعية وإقناعا.

مع ذلك، لا تقدم الكاتبة هذه المسؤولية كقيمة إيجابية مطلقة. تظهر الرواية تدريجيا كيف يمكن أن تتحول سلطة الأسرة إلى سلطة أحادية الجانب عندما يتخذ الزوج قرارات مصيرية دون استشارة زوجته أو أبنائه. ويتضح هذا جليا في قراره الزواج من امرأة أخرى؛ إذ يُلمّح لأبنائه وزوجته بأنه لا يحتاج إلى موافقة أحد. يمثل هذا استمرارا للصورة نفسها، ولكن في اتجاه مختلف، حيث تتحول مسؤولية رب الأسرة إلى سلطة مطلقة.

باختصار، تُصوّر الرواية سليمان ربا للأسرة، مسؤولا عن إعالة أسرته، ورعاية أفرادها، واتخاذ القرارات المتعلقة بهم. يحتل سليمان مكانة مرموقة داخل الأسرة، مما يجعل أوامره ملزمة ومحترمة. مع ذلك، تضيف الروائية بُعدا هاما لهذه الصورة، مُبينة أن سلطة الأسرة، عندما تنفصل عن التشاور ومراعاة مشاعر الآخرين، يمكن أن تُصبح مصدرا للتوتر والمعاناة. يُرسي هذا الأساس للتحولات اللاحقة في شخصية سليمان على امتداد الرواية.

رابعًا: صورة الزوج المتدين الذي يستند إلى المبررات الشرعية

من بين الصور اللافتة التي يرسمها سليمان في رواية "رميم" صورة الزوج الذي يستخدم المنطق الديني لتبرير قراراته، ولا سيما قراره بالزواج من امرأة ثانية. وبينما لا تنكر الكاتبة شرعية تعدد الزوجات

في الشريعة الإسلامية؛ فإنها تطرح تساؤلا هاما حول كيفية استخدام النصوص الدينية: هل ينبغي أن تكون أساسا لتحقيق العدل والرحمة، أم وسيلة لإضفاء الشرعية على الرغبات الشخصية؟

عندما يخبر سليمان زوجته عتيقة برغبته في الزواج مرة أخرى، يبرر موقفه بالكلمات التالية: "أنت زوجتي ورفيقة عمري ولن أتخلى عنك ما حييت، لكنني بحاجة إلى امرأة قادرة على الاهتمام بي...إنه حقي الشرعي، لست أول ولا آخر رجل يتزوج على زوجته".[18] ويواصل الدفاع عن موقفه، مجادلا بأن الاختلاف في الطبيعة بين الرجال والنساء يبرر تعدد الزوجات، ويقول: "ليست المرأة كالرجل، إنها أقدر على الصبر... هي الفطرة... لهذا أجاز له أربعا".[19]

ومع ذلك، لا تكتفي الرواية بعرض وجهة النظر هذه فحسب، بل تقارنها أيضا بوجهة نظر عفا عليها الزمن، تستند أيضا إلى السلطة الدينية، حيث تنص على ما يلي: "الله عادل، رحيم، لا يرضى بالخداع والخيانة، بل بالوفاء ومراعاة الظروف، وأنا لم أقصر معك في شيء".

تُظهر هذه الحوارات أن الكاتبة لا تُصوّر سليمان كرجل دين بالمعنى المتعارف عليه للواعظ، بل كشخصية تعتمد على المنطق الديني لتفسير سلوكها وتبرير قراراتها. في المقابل، تمنح زوجته فرصة تقديم فهم بديل للنصوص الدينية، قائم على مقاصد الشريعة الإسلامية: العدل، والوفاء، والرحمة.

من منظور أدبي، تستخدم الكاتبة حوارا جدليا بين الزوجين، متجنبة فرض رأي مباشر. بدلا من ذلك، تسمح لكليهما بعرض وجهة نظره، مما يُضفي على النص بُعدا فكريا، ويجعل القارئ مشاركا في تقييم الموقف.

علاوة على ذلك، فإن اختيار الكاتبة لهذا الحوار، الذي يدور بعد سنوات من الزواج وبعد مرض زوجته، يُضفي على النقاش بعدا إنسانيا وأخلاقيا. لا يركز النقاش على جواز تعدد الزوجات في حد ذاته، بل على توقيته، ودوافعه، وعواقبه النفسية، والاجتماعية.

تُصوّر الرواية سليمان في هذه المرحلة كزوج يُبرّر قراره بالزواج من امرأة ثانية بالاستناد إلى الحقوق الدينية والقانون الطبيعي. في المقابل، تركز الكاتبة على صوت الزوجة، مُؤكدا أن العلاقات الزوجية لا تقوم على التساهل فحسب، بل على قيم العدل والوفاء والرحمة أيضا. لذا، لا تتناول الرواية المعايير القانونية المحيطة بتعدد الزوجات، بل تستكشف كيفية توظيف الخطاب الديني في العلاقات الزوجية، مُضفية بذلك بعدا فكريا واجتماعيا على بنية السرد.

خامسًا: صورة الزوج المتناقض بين الوفاء القديم والتحول النفسي

تُعدّ صورة الزوج المتناقض من أعمق الصور الفنية في رواية "رميم". لم تُصوّر الدكتورة فضيلة ملهاق سليمان كشخصية ثابتة، بل جعلته شخصية متغيرة، تتأرجح بين الإخلاص والحب في بداية

القصة، وبين اللامبالاة والنفور مع ازدياد معاناة زوجته. وقد أسهم هذا التحول في إثراء جوهر الرواية، ومنح الشخصية بعدا نفسيا واقعيا. تبدأ تفاصيل هذا التحول بالتبلور تدريجيا؛ إذ تشير الراوية إلى أن اهتمام سليمان بزوجته لم يعد كما كان، ما يدفعها إلى القول: "لكن اهتمام أبي بها بهت بمرور الوقت".[20] ولا يقتصر الأمر على فتور المشاعر فحسب، بل يمتد إلى تغيير في السلوك اليومي؛ فكما تصف عتيقة، تشعر أن زوجها لم يعد حريصا على التواجد معها كما كان من قبل، وأنه بدأ في خلق مشاكل بسبب أمور تافهة، كما تقول الراوية: "لم تعد تريحها تصرفاته... أخذ يدقق في كل شيء ويفتعل المشاكل".[21] تتجسد هذه الصورة في مشاهد متكررة ينتقد فيها قمصانها وجواربها وأوشحتها، وكلامه مليء بالتذمر والانزعاج، رغم أنها تجيبه بهدوء وتوضح له أن كل ما يطلبه في مكانه الصحيح. مع ذلك، لا تصوره الكاتبة شريرا تماما، بل تظهر أن هذا التناقض النفسي ينعكس حتى في سلوكه اليومي. فبعد نوبة من التذمر والغضب، يجلس إلى المائدة، ويأكل الطعام الذي أعدته زوجته، ثم يقول لها فجأة: "سلمت يداك".[22] يكشف التحول المفاجئ من القسوة إلى الرقة، ومن الاستياء إلى الثناء، عن الصراع الداخلي للشخصية، مما يجعلها أكثر تعقيدًا بكثير مما يمكن تفسيره بمنطق الخير والشر وحده.

نجحت الكاتبة في بناء شخصية سليمان من خلال التطور النفسي لا الركود. فهو الزوج نفسه الذي أعلن في بداية الرواية استعداده للتضحية بساقيه من أجل زوجته، وهو نفسه الرجل الذي يشعر، بعد سنوات، بثقل واقع جديد. لم يحدث هذا التحول فجأة، بل تطور تدريجيا عبر تفاصيل يومية صغيرة، مثل نبرة صوته، وشكواه المتكررة، وانتقائيته المفرطة، تفاصيل تبدو غير مهمة لكنها تكشف عن تغيرات عميقة في تكوينه النفسي.

من وجهة نظر فنية، تستخدم الكاتبة التناقض كوسيلة لتطوير الشخصية. يجمع سليمان بين الرقة والبرود، والامتنان والاستياء، والإخلاص القديم مع رغبة في تغيير الواقع. هذا التناقض هو ما يجعل الشخصية أقرب إلى قلوب الناس الحقيقيين الذين قد يعانون من مشاعر والتزامات ورغبات متضاربة. باختصار، تُصوّر الرواية سليمان كزوج يعيش صراعا نفسيا بين ماضيه المفعم بالحب والإخلاص، وحاضره المثقل بضغوط المرض وتغيرات الحياة. ينعكس هذا الصراع في سلوكه المتغير؛ فهو يبدو أحيانا حنونا وممتنا، بينما يبدو في أحيان أخرى ساخطا وقاسيا. هذا التناقض النفسي هو أحد أهم السمات الفنية التي بُنيت عليها شخصية الزوج في رواية "رميم".

ثامنًا: صورة الزوج الأناني الذي قدَّم مصلحته على تضحيات زوجته

تتضح هذه الصورة لاحقا في الرواية، عندما تكشف الدكتورة فضيلة ملهاق أن سليمان، بعد سنوات طويلة من الزواج، بدأ يركز على معاناته الشخصية أكثر من تركيزه على تاريخ زوجته الطويل من

التضحية. هنا، يتحول الرجل من زوج مخلص إلى رجل تطغى مصالحه الشخصية على ولائه، مما يمثل أحد أهم التحولات الدرامية في الرواية.

عندما حاولت عتيقة تذكيره بالتضحيات التي قدمتها خلال زواجهما، قالت له: "معظم حياتنا الزوجية أمضيتها مغتربا، لم أكن أراك سوى مرة السنة أو السنتين، ورضيت بأن أكون زوجة على الورق... صبرت على البعاد، وقلة الحيلة، وعناء تربية أولادنا وحدي... وعندما جاء وقت الجني تريد أن تحرمني من الثمار".[23] لكن هذه التضحيات لم تجعل سليمان يغير رأيه، بل أجابها قائلا: "كنت أتعب وأشقى لأؤمن مستقبلكم".[24]

تتجلى هذه الصورة بوضوح عندما يقلل من شأن جهود زوجته في تكوين أسرة، قائلا: "أنا من تعب وشقي، وفرت لك عيشة الأميرات، كل طلباتك كانت تصل إليك".[25] لا تهدف الكاتبة إلى تصوير سليمان كشخص أناني تماما، بل إلى إظهار كيف يمكن للضغوط النفسية والظروف الاستثنائية أن تجبر المرء على إعادة صياغة تاريخه من منظور المكاسب الشخصية. فبدلا من تقدير سنوات صبر زوجته وتفانيها، يركز سليمان بشكل حصري على جهوده في إعالة الأسرة وعمله، وكأن كلا منهما لا يرى إلا تضحياته.

من منظور فني، تستخدم الكاتبة حوارا صداميا بين الزوجين، يسمح لكل منهما باستحضار ذكرياته. تستذكر عتيقة سنوات الانفصال وتربية الأبناء والصعوبات التي واجهتها، بينما يستذكر سليمان سنوات العمل والجهد والدعم المالي. وهكذا، يتحول الحوار إلى مواجهة بين ذاكرتين، لا بين شخصين فحسب، وهو من أجمل الأساليب الفنية المستخدمة في بناء هذا المشهد.

علاوة على ذلك، لا تصرح الكاتبة صراحة بأن سليمان قد أصبح أنانيا، بل يترك للقارئ استنتاج ذلك من خلال مقارنة ماضي البطلة وحاضرها، وكذلك من خلال مقارنة كلماتها لزوجته في بداية الرواية بتلك التي قالتها بعد أن قررت الزواج من امرأة ثانية. عموما، تصور الرواية سليمان في هذه المرحلة كزوج أسير لمصلحته الشخصية، يهتم بمعاناته أكثر من اهتمامه بتاريخ زوجته الطويل من التضحية والإخلاص. وهكذا، تؤكد الكاتبة أن الأنانية ليست سمة فطرية، بل هي نتاج تحول نفسي واجتماعي يثري شخصية سليمان، ويعقد بنية السرد.

خلاصة صورة الزوج الجزائري في رواية رميم

تقدم رواية الدكتورة فضيلة ملهاق "رميم" تفسيرا فنيا عميقا للزوج الجزائري من خلال شخصية سليمان، وهي شخصية معقدة ومتعددة الأوجه، بعيدة كل البعد عن الصور النمطية والأحكام المسبقة. في بداية الرواية، تصور الكاتبة الزوج كزوج محب ومخلص، تربطه بزوجته رابطة المودة والرحمة. ويتجلى

ذلك في تصرفاته الإنسانية خلال مرضها، ولياليه الطويلة التي قضاها ساهرا في رعايتها، وسعيه الدؤوب لتخفيف معاناتها، مجسدا بذلك قيم الإخلاص والتفاني في الأسرة.

في الوقت نفسه، تقدم سليمان كرأس الأسرة والمسؤول الأول عن شؤونها؛ فهو يتحمل عبء النفقات، ويتخذ القرارات التي يراها في مصلحة الأسرة، مما يعكس المكانة التقليدية للزوج في بنية الأسرة الجزائرية كما تصوّرها الرواية. إلا أن هذه الصورة المثالية لا تبقى ثابتة؛ إذ تتعمق الكاتبة في التركيبة النفسية للشخصية، كاشفة تدريجيا عن أثر المرض والضغوط النفسية والاجتماعية عليها. يتحول الزوج من رمز للوفاء والدعم إلى شخصية تعاني صراعا داخليا بين الواجب والرغبة، بين الولاء للماضي ومتطلبات الحاضر. ويتجلى هذا التحول في فتور اهتمامه بزوجته، وازدياد حاجته للرعاية، وقراره اللاحق بالزواج من ثانية، مستندا إلى مبررات اجتماعية وقانونية اعتبرها كافية.

في الوقت نفسه، لا تستخدم الكاتبة هذا التحول أساسا لإدانة الشخصية أو تبريرها. بل تقدم للقارئ شخصية معقدة، ممزقة بين الحب والرحمة، والضعف والأنانية، والمسؤولية والسلطة. وقد أضفى هذا على سليمان بعدا نفسيا وفنيا مميزا، جاعلا منه مثالا لشخص يتغير تحت وطأة الظروف، لا نموذجا للخير المطلق أو الشر المطلق.

وبالتالي، يمكن القول إن صورة الزوج الجزائري في رواية "رميم" لا تقوم على تقديم نموذج مثالي أو سلبي، بل على إبراز تعقيد الطبيعة البشرية، وتصوير العلاقات الزوجية في مواجهة الشدائد. من خلال شخصية سليمان، تمكنت الدكتورة فضيلة ملهاق من تقديم رؤية واقعية للزوج الجزائري، كاشفة عن التناقضات والتحولات التي تعذب الروح البشرية، ومثيرة تساؤلات عميقة حول الإخلاص والمسؤولية والسلطة وحدود الالتزامات الأخلاقية في الحياة الأسرية، مما يجعل هذه الشخصية واحدة من أغنى الشخصيات وأكثرها عمقا في البنية السردية.

.....

الهوامش

[1] "فضيلة ملهاق تريد ترميم المجتمع". الجزائرية للأخبار. 5 أغسطس 2019.

[2] "رميم – فضيلة ملهاق – كُتّابنا". www.hachette-antoine.com.

[3] بوكريش، رابح (8 مايو 2015) "الفيفا تستحم في الجزيرة" صحيفة المنار اللبنانية.

[4] الإنساني: للجنة الدولية للصليب الأحمر https://blogs.icrc.org/alinsani/

[5] PMB Group. "Catalogue en ligne Bibliothèque de la Faculté de Droit et des Sciences Politiques."

[6] الجزائرية-فضيلة-ملهاق-تحيي-حقيقة-المرأة-وهي-رميم https://www.omandaily.om/

[7] فضيلة ملهاق، رميم، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م، ص: 13

[8] فضيلة ملهاق، رميم، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م، ص: 19

[9] المرجع نفسه، ص: 13

[10] المرجع نفسه، ص: 19

[11] المرجع نفسه، ص: 20

[12] فضيلة ملهاق، رميم، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م، ص: 19

[13] المرجع نفسه، ص: 20

[14] المرجع نفسه، ص: 21

[15] فضيلة ملهاق، رميم، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م، ص: 13

[16] المرجع نفسه، ص: 13

[17] المرجع نفسه، ص: 29

[18] فضيلة ملهاق، رميم، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م، ص: 27

[19] المرجع نفسه، ص: 29

[20] فضيلة ملهاق، رميم، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م، ص: 21

[21] المرجع نفسه، ص: 23

[22] فضيلة ملهاق، رميم، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م، ص: 26

[23] فضيلة ملهاق، رميم، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م، ص: 28-29

[24] المرجع نفسه، ص: 29

[25] المرجع نفسه، ص: 30

المراجع والمصادر

1. رميم، المؤلفة فضيلة ملهاق، نوفل هاشيت أنطوان ط: 2019م.
2. الإنساني: للجنة الدولية للصليب الأحمر https://blogs.icrc.org/alinsani/
3. "فضيلة ملهاق تريد ترميم المجتمع". الجزائرية للأخبار. 5 أغسطس 2019.
4. بوكريش، رابح (8 مايو 2015) "الفيفا تستحم في الجزيرة" صحيفة المنار اللبنانية.
5. الإنساني: للجنة الدولية للصليب الأحمر https://blogs.icrc.org/alinsani/
6. PMB Group. "Catalogue en ligne Bibliothèque de la Faculté de Droit et des Sciences Politiques."
7. "رميم – فضيلة ملهاق – كُتّابنا". www.hachette-antoine.com.